Arrasikhun International Journal, Volume 3, Issue 2, Jan 2018
ISSN: 2462-2508

الشعر التعليمي في ديوان "حدائق ذات بهجة" للشيخ غنيمي البرناوي

(مسح عام وتقديم)

إعداد: محمد الحاج ميدعو

قسم الدراسات العربية, جامعة ولاية يوبي, دماترو, نيجيريا

d3rmami@gmail.com

+23480-36502256

2016

الملخص :

تهتم هذه الدراسة بنوع من أنواع الشعر العربي نشأ منذ العصور القديمة, والذي أدلى فيه العلماء بدلائهم فأنتجوا الدواوين. وقد أنتج العلماء البرناويين عددا كبيرا من الشعر التعليمي تسهيلا لحفظ العلوم وتحقيقه, ومن بين هؤلاء العلماء الأجلاء الشيخ العالم أبوبكر غنيمي البرناوي. فهدف الباحث وهمه هو توضيح مفهوم " الشعر التعليمي " بالإضافة إلى الجمع والتحليل للمنظومات التعليمية للشيخ ولا سيما في ديوانه المعنون:" حدائق ذات بهجة " إضافة إلى دراسة ما فيها من القيم الفينة. وأما أهمية هذه المقالة فتكمن في مساعدة الباحثين في اللغة العربية والدراسات الإسلامية في استيعاب ما ألفها الشيخ من المنظومات التعلمية في مختلف الفنون المعرفية.

الكلمات المفتاحية: الشعر– التعليمي– ديوان– حدائق ذات بهجة– أبوبكر غنيمي.

1. المقدمة:

تعد المنظومات التعليمية أو ما أطلق عليه اسم " الشعر التعيلمي " من الظواهر الجديدة فى الشعرالعربي فى العصر العباسي دفع إليها نمو الثقافة العربية بتأثير الثقافات الأجنبية الناتج عن الاحتكاك بالحضارات الأخرى وترجمة علومها وآدابها. وكانت غايتها الأولى: نشر العلوم والفنون بين الناس– والثانية: تسهيل حفظ المتون العلمية على الطلاب. وقد اتسعت هذه الظاهرة حتى صارت أمرا راسخا ثابتا فى العصور المتأخرة ووصلت إلى كل العلوم المعروفة آنذاك. وقدأشار مؤرخو الأدب العربى والباحثين فى الأدب العباسي إلى هذه الظاهرة, واختلفوا

فى أصلها وطبيعتها, فأرجعها بعضهم إلى أصول أعجمية, وأرجعها بعضهم الآخر إلى أصول عربية, وجعلها فريق منهم من الفنون الشعرية, وأخرجها فريق آخر من دائرة الشعر, فربطها أحمد (أمين1976) بتأثير الثقافة الهندية , وربطها (يوهان فِكْ1980) بتأثير الثقافة الفارسية , وعاد بها (طه حسين ب,د,ت) إلى الثقافة اليونانية . فى حين رأى (شوقي ضيف1954م) "...أن هذه الظاهرة لها أصولها فى الثقافة العربية, تتمثل فى الأراجيز المثقلة بالغريب والأساليب الشاذة التى نظمها أصحابها من أجل أهل اللغة..." . وشكك (هدارة, ب,د,ت) فى انتماء المنظومات التعليمية إلى الشعر, وقال عن الشعر التعليمي "ليس من الشعر إلا اسمه". وقد أدى الشعراء البرناويين دورا لا يستهان به في هذا اللون من النظم فألفوا دواوين يحمل في طياته منظومات في مختلف الفروع الدينية والعلمية واتخذوه سبيلا لتعليم العلوم والمعارف وتسهيلا للفهم والحفظ. وممن أدلى بدلائه في هذا المجال الشيخ أبوبكر غنيمي البرناوي الذي ألف عددا هائلا من الشعر التعليمي. وأما كنه هذه الدراسة ومرماها دراسة لنماذج مختارة من الشعر التعليمي الذي ألفه هذا الشيخ ولا سيما في ديوانه "حدائق ذات بهجة" ومن هذا المنطلق سيتم الدراسة على النحو التالي.

1.1– أهمية البحث: ومما لاريب فيه أن مثل هذه المقالة تشمل فوائد لايستهان بها منها :إنها تغرس حب العناية بالأدب العربي عامة, والبرناوي خاصة فى قلوب الدارسين والباحثين من خلال الشعر العربي وخصائصه. كما أنها تبرز لقراء الأدب العربي ما مَن الله به على الأدباء النيجيريين من الكنوز الأدبية العربية. إضافة إلى أنها تساعد على معرفة منزلة الأديب فى الثقافة العربية, وتعمر مكتبات العربية فى نيجيريا بالمراجع من آداب أبنائها.

1.2– مشكلة البحث: وقف الدارسون والباحثون على الإنتاج الشعري لدى هذا الأديب منهم من أوقفه فن الهجاء, بينما وقف بعض آخر على فن المديح, كما درس بعضهم على إنتاجاته العلمية دون غيرها, وآخر وقف على دراسة مؤلفاته النثرية, ثم إن دراسة أولئك الدارسين شملت بعض إنتاجات الشاعر على اختلاف موضوعاتها ومغزاها, إلا أنها لم تركز على ديوان " حدائق ذات بهجة " بل لم يقف الباحث على من كتب بحث أو رسالة تناول دراسة هذا الديوان, فأصبحت دراسة الديوان من الثغرات التى تنتظر أيد الباحثين كي ينفضوا عنه الغبار ويستخرجوه إلى حيز الوجود قبل أن يغار عليه يد الدهر القشيب ويدرس الديوان دراسة يبرز فيها شخصية الأديب من ديوانه, وهذه هى المشكلة التى يقوم الباحث بحلها.

1.3– أسئلة البحث:

- ما المقصود بالشعر التعليمي؟
- كيف نمى وتطور هذا النوع من الشعر عبر العصور الأدبية نزولا إلى عصر مملكة كانم-برنو؟.
- من هو الشاعر أبوبكر غنيمي البرناوي؟

- ما محتويات ديوان "حدائق ذات بهجة "؟

هذه هي بعض الأسئلة التي يفترضها الباحث في عمله هذا.

1.4– أهداف البحث: بناءا على الأسئلة السابقة يرمي هذا البحث الإجابة عليها والتي تتمثل في الآتي:

- التعرف على حقيقة ما يسمى بالشعر التعليمي.
- التعريف بالشاعر.
- التعريف بديوان "حدائق ذات بهجة ".
- التعرف على نشأة وتطور الشعر التعليمي عبر العصور.
- دراسة ما يحويه الديوان من الشعر التعليمي.
- دراسة أدبية وبلاغية لهذه المنظومات.

1.5– الدراسات السابقة:

وفيما يلي بحوث ورسائل ذات صلة بموضوع هذا البحث:

– شرح قصيدة مهر الحور فى مدح الرسول صلى الله عليه وسلم."

بحث قدم للطالب إبراهيم مصطفى محمد, لنيل شهادة الليسانس فى اللغة العربية, جامعة ميدغري 2000م. قسم الباحث بحثه على الأبواب, فتناول في الباب الأول دخول الإسلام فى منطقة برنو, ونشأة الثقافة العربية وتطورها فى هذه المنطقة ثم تناول ف.الباب الثاني حياة الشيخ أبى بكر غنيمي البرناوي, مولده ونشأته, وتكوين شخصيته العلمية وفي الباب الثالث تناول القصيدة بالشرح العلمي للقصيدة.

– فن الهجاء فى شعر الشيخ أبى بكر غنيمي."

بحث قدم للطالبة: خديجة أبه مصطفى, لنيل شهادة الماجستير فى اللغة العربية بجامعة بايرو كنو 2009م. ويحتوي هذا البحث على ستة فصول, تناولت في الفصل الثاني التعريف بالشاعر, بحيث عرضت تاريخ حياته من نسب, ومولد ونشأة. كما تناولت حياته العلمية فعرضت تعلمه وعلمائه, كما تناولت مساهمته فى نشر الثقافة العربية والإسلامية ومكانته العلميةز وأما الفصل الثالث فقد عالجتْ البيئة التى ولد وترعرع فيها الشيخ وأثرها فى تكوين شخصيته. وفي الفصل الرابع العرض لفن الهجاء فى الشعر العربي وتطوره عبر العصور الأدبية نزولا إلى الأدب العربي النيجيري والبرنوي على وجه الخصوص. وفي الفصل الخامس العرض والتحليل لقصائد مختارة لغنيمي فى فن الهجاء. وفي الفصل السادس التقويم الفني لقصائد الهجاء.

" – فن المديح فى ديوان الحامي الشيخ غنيمي " دراسة تحليلية لنماذج مختارة.

بحث قدم للطالب: أبوبكر عمر إلياس, لنيل شهادة الماجستير فى اللغة العربية, جامعة بايرو كنو 2009م. يتضمن هذا البحث النقاط التالية– الفصل الأول عبارة عن المقدمة تناول فيها الباحث ملخص البحث, وأهدافه, وحدوده, وأهميته, ومنهجه, وخطته. وفي الفصل الثاني عالج حياة الشاعر العلمية والأدبية فتحدث عن نسبه, ومولدهو ونشأته, وطلبه العلم, وشيوخه, وإنتاجاته الأدبية والفكرية, ثم الفكرة العامة

عن فن المديح وتطوره عبر العصور, وكما تناول فن المديح فى الشعر العربي النيجيري من ناحية, والبرنوي من ناحية أخرى بالدراسة العامة. وفي الفصل الثالث عرض لمدائح الرسول صلى الله عليه وسلم بالشرح والتحليل الفنى من حيث الأسلوب, والصور البيانية, والموسيقى.

" منظومة تقريب النحو للشيخ أبى بكر غنيمي البرناوي ":

بحث قدم للطالب: شطيمه الحاج بكر, لينل شهادة الماجستير فى اللغة العربية جامعة جوس نيجيريا 2009م. قسم البحث إلى فصول, الفصل الأول عبارة عن المقدمة تناول فيها الباحث حدود البحث, وأسباب اختيار الموضوع, والأهمية, والأهداف, والمنهج, والمشكلة والدراسات السابقة. وفي الفصل الثاني حديث عن حياة الشيخ وعوامل تكوينه. وفي الفصل الثالث تناول اللغة العربية وثقافتها فى منطقة برنو. وفي الفصل الرابع والأخير عرض منظومة تقريب النحو بالشرح والتحليل اللغوي.

تتفق هذه البحوث مع البحث الذي نحن بصدده من حيث الموضوع والشخصية, وهو دراسة لشخصية شاعر واحد فى بيئة واحدة وتحليل إنتاجه الشعري. وتختلف عن البحث المقدم من حيث النص المدروس لأن كل هؤلاء الدارسين ركزوا بحثهم على أغراض شعرية معينة فى حين أن الباحث سيقوم بدارسة الشعر التعليمي الواردة في ديوان الشيخ المعنون: " حدائق ذات بهجة". ويعترف الباحث أن الدراسات السابقة لها صلة بموضوعه بيد أنه لم يتناول واحد من أولئك الباحثين بحثا أدبيا عالج ما يثري به الديوان من الشعر التعليمي, فآثر أن يدرسه دراسة علمية وأدبية .

1.6– عناصر البحث

يتكون هذا البحث من العناصر الآتية:–

- المقدمة تحتوي على:

– أهمية البحث.
– مشكلة البحث.
– أسئلة البحث.
– أهداف البحث.
– الدراسات السابقة.
– عناصر البحث

المبحث الأول– تعريف الشعر التعليمي.

المبحث الثاني– نشأة الشعر التعليمي وتطوره.

المبحث الثالث– التعريف بالشاعر أبوبكر غنيمي البرناوي.

المبحث الرابع– التعريف بديوان: " حدائق ذات بهجة ".

المبحث الخامس– الشعر التعليمي في ديوان: "حدائق ذات بهجة".

الخاتمة وأهم النتائج وأهم المصادر والمراجع.

هيكل البحث: إن البحث مقسم إلى خمسة مباحث بعد الفصل التمهيدي ثم الخاتمة:

المقدمة: الخطة العامة للبحث.

المبحث الأول– تعريف الشعر التعليمي.

المبحث الثاني– نشأة الشعر التعليمي وتطوره.

المبحث الثالث– التعريف بالشاعر أبوبكر غنيمي البرناوي.

المبحث الرابع– التعريف بديوان: " حدائق ذات بهجة ".

المبحث الخامس– الشعر التعليمي في ديوان: "حدائق ذات بهجة".

الخاتمة وأهم النتائج وأهم المصادر والمراجع.

2. تعريف الشعر التعليمي:

أما المنظومات التعليمية أو الشعر التعليمي فهو نوع من أنواع الشعر يحمل في طياته تعبيرا عن علم من العلوم, أو فن من الفنون بطريقة شعرية, والغرض منه تيسير وتعليم وحفظ لمضامين ذلك العلوم لمن أراد المطالعة فيه حفظا وتحقيقا. و تشتمل على المضامين الأخلاقية ، أوالدينية ، أوالفلسفية، أو التعليمية عموماً. وثمة سمات كثيرة يتصف بها الشعر التعليمي وتضفي عليه مسحة خاصة من العلامات المميزة فى عالم الحضور الشعري, منها البعد عن الإنفعال الشعوري والعناية بالخطاب العقلي, وتكثيف العبارة, والشكل الشعري, وتنوع الموضوعات. فلم يقف الشعراء الذين نظموا الشعر التعليمي عند موضوع واحد بعينه, بل انساقوا وراء موضوعات كثيرة فنظموا فى التاريخ, والفقه, والقصص, وغيرها مما يدل على رحابة فكر هؤلاء الشعراء, ومحاولتهم التعبير عن شتى الموضوعات ومختلف ألوان الثقافة.

3. نشأة الشعر التعليمي وتطوره:

تباينت الآراء ووجهات النظر فيما يتعلق بنشأة المنظومات التعليمية وبذورها الأولى في الأدب العربي, فمنهم من ذهب إلى أن العرب عرفوا هذا اللون من الأدب متأخرا نتيجة لإتصالهم بالفكر الوافد فتأثروا بثقافات جديدة ونهلوا من مناهلها, ولاسيما في العصر العباسي حينما تأثر العرب بالثقافة الهندية واليونانية. وقد ذهب بعض الباحثين في مجال الأدب العربي إلى أن العرب تأثروا بالثقافة الهندية أكثر من تأثرهم بالثقافة اليونانية. وأما الفريق الثاني من الدارسين ذهبوا إلى أن العرب تأثروا بالثقافة اليونانية أكثر من تأثرهم باالثقافة الهندية ومن فرسان هذا الزعم (الدكتور طه حسين 1969م, 286) بحيث أنه يرى أن الشعر التعليمي من مكتسبات الثقافة اليونانية, على أنه يرى أن أبان بن عبد الحميد اللاحقى هو مبتكر هذا الفن في الأدب العربي ، إذ يقول : "يظهر أن أبان هو أول من عني بهذا الفن". و يقول عنه في موضع آخر(1980م 540) :" فهو إمام طائفة عظيمة الخطر من الناظمين نعنى أنه ابتكر في الأدب العربي فناً لم يتعاطه أحد من قبله ، و هو فن الشعر التعليمي". ومنهم من ذهب إلى رأيين متناقضتين ايما تناقض كالدكتور أحمد شوقي الذي يرى أن الشعر التعليمي فن استحدثه العباسييون ولم تكن له أصول قديمة وسبب تطوره وتنشأته رقي الحياة العقلية في العصر فقام جماعة من الشعراء ينظمون بعض القصص والمعارفوا السير والأخبار . بينما ذهب

الـدكتور شـوقي ضـيف في كتابـه الآخـر بعنـوان: – التطـور والتجديـد في الشـعر الأمـوي– مـذهبا آخـر ومسـلكا مختلفـا فـذهب إلى أن الشـعر التعليمـي ذو نشـأة عربيـة خالصـة جـاء إلى حيـز الوجـود في آخـر القرن الأول الهجري وأول القرن الثاني وبعبارة أدق في أواخـر الدولـة الأمويـة إذ أن أراجيـز الرجـاز بصـفة خاصة رؤبة والعجاج قد كانت متونا لغوية وبالتالي فهـو الـذرةالتي بنى عليهـا الشـعر التعليمـي في جانـب الكـلام المنظـوم, وتطـور في جانـب النثـر مـا عـرف بالمقامات, وقد أتى بنماذج من الشعر التعليمي في العصـر الجـاهلي إثبـاتا لزعمـه ووجهـة نظـره. وهـذا بالضبط ما أراد الباحث جواد غلام علي زاده إثباته في مقالتـه بعنـوان: (نشـأة المنظومـات التعليميـة في الأدب العربي).[1]

وأما وجهة نظر الباحث فلا يختلف كثيرا عن الموقف الثاني للدكتور شوقي ضيف وما ذهب إليه السيد جواد, وذلـك لمـا قامـا بـه مـن تعليلات ومـا تناولاه من دراسات عليمة لنماذج مختارة اتضح جليا بأن الأدب العـربي منـذ جاهليتـه قـد شـارك في هـذا اللـون مـن الفـن بكـل أقسـامه وأجزائـه ولم يتـأثر بأي ثقافـة أجنبيـة. ومـن دقـق في الأدب الجـاهلي ليجـد الأقسـام المختلفـة مـن الفـن التعليمـي في هـذه الحقبـة الزمنيـة ؛ فبالنسـبة للتـاريخ و ذكـر القـرون الخاليـة و الأمم البائدة قد امتلأ الأدب العربي بشعر الشعراء في ذلـك ، و قـد كـان ذلـك أحـد المنطلقـات التـى انطلـق منهـا جماعـة مـن الشـعراء خصوصـا أولئـك الذين كانوا على شئ من الثقافة الدينية و العلمية كأميه بن أبي الصلت، و عدي بن زيد و من ذلك قصـيدة عـدي في منشـأ الخلـق و قصـة خلـق آدم و حواء و إسكانهما الجنة و نهيهما عن أكل الشجرة و هبوطهما من الجنة حيث يقول :

قَضَى لِسِـتَّةِ أيَّامٍ خَلِيقَتَهُ*** و كانَ آخرَهَا
أَن صَـوَّرَ الرَّجُـلا

دَعَـاهُ آدمَ صَوتاً فَاستَجـَابَ لَهُ *** بِنَفـخَةِ الرُّوحِ فِي
الجِسمِ الَّذِي جَبَلا

تُمَتَ أَورَثَهُ الفِـردَوسَ يَعمُرُهَا *** وَ زَوجَهُ
صَنعَةً مِن ضِلعِهِ جَعَـلا

لَم ينـهَهُ رَبُّهُ عَـن غَير وَاحـدَة *** مِن شَجَرٍ
طَيِّبٍ أَن شَمَّ أو أَكَـلَا

تَمشِي عَلى بَطنِهَا فِي الدَّهرِ مَا عُمِرَت *** وَ
التُّربُ تَأكُلُهُ حُزناً و إنسَهُـلَ

[1] www.diwanalarab.com/spip.php?page=article&id_artile=23011جواد غلام علي زاده- نشأة المنظومات التعليمية في الأدب العربي. وقت التصفح- 6:30 مساءا التوقيت التيجيري, يوم الأربعاء17-2-2016م من خلال منبر حر للثقافة والفكر والأدب, (الإثنين 19 ابريل 201م) .

فَأتعبا أبوانا في حَيَاتهمَا *** وَ أوجَدَا
الجُوعَ وَ الأوصابَ وَالعِلَلَا[1]

ويجدر بالإشارة في هذا الصدد لون آخر من الشعر التعليمي في الجاهلية وهو الذي أطلقوا عليه اسم" حقائق الفنون والعلوم والصناعات" عثر الباحث على مثال واضح للشاعر الجاهلي: " الأخفش بن شهاب" حيث يذكر في قصيدته سكنى قبائل نجد فهيمن هذه الناحية تدخل في علم تقويم البلدان أو ما عرف بالجغرافية, فمما جاء في هذه القصيدة قوله:

فَمَن يَك أَمسَى في بِلادٍ مُقَامةً*** يُسَائِلُ
أَطلالاً بِها لا تُجاوِبُ

فَلا بِنَةِ حَطّانَ بنَ قَيسٍ مَنازِلُ *** كَما ثَّمَقَ
العُنوانَ في الرّقّ كاتِبُ

لِكُلِ أُناسٍ من مَعَدٍّ
عِمارَةٌ *** عَرُوضٌ إليها يَلجَؤُونَ وَ جانِبُ

لُكيزٌ لَها البَحران وَ السَّيفُ كُلُّهُ *** وَ
إن يأتِهِم نَاسٌ مِنَ الهِندِ كارِبُ

تَرَى رائِدَاتِ الخَيلِ حَولَ بُيُوتِنا ***
كَمِعزَى الحِجازِ أَعجَزَتها الزَّرَائِبُ[2]

فبالنظرة الدقيقة في القصيدة يتضح للباحث جليا بأنها من الشعر التعليمي إذ المضمون منها ومرماها هو بيان مساكن هذه القبائل في جزيرة العرب والعراق وما إليها.

وقد ذكر الباحث جواد عوده " أما نوع آخر من الشعر التعليمي و هو الذى يتناول العقائد و الأخلاق فهو في الشعر الجاهلي أكثر من أن يحصى إلا أن الحكم و الأخلاق متناثرة في الشعر الجاهلي مأخوذة من بقايا تعاليم الأنبياء أو مستمدة من نضج عقلى و تجربة حياتية و هي على العموم نظرات و انطباعات و تأمل في الحياة و الموت ، و محاولات لسنّ نظم خلقية ، و جاءت هذه الحكم عند الجاهليين حقائق مجردة وفق مثلهم العليا السائدة في عصرهم. و لا يجمع هذه الحكم نظرة شمولية إلى الكون و الحياة ، بل هي أشبه بالخواطر المتفرقة.يروى أن قس بن ساعدة قال و هو يرى هذا الشوط القصير من حياة البشر و انتقالهم إلى مصيرهم المحتوم"[3]:

فِي الذّاهبينَ الأَوَّلِيـ *** نَ مِنَ القُرُونِ لَنا
بَصائِرِ

لَمّا رَأيتُ مَوارِداً *** للموت ليسَ لَها
مَصادِرِ

[1] جواد غلام زاده, المرجع السابق.

[2] جواد غلام زاده المرجع السابق.

[3] جواد غلام زاده المرجع السابق.

وَ رأيتُ قَومِي نَحوَها*** تمضي الأكابِرُ وَ الأصاغر

لا يَرجِعُ الماضِي إلى*** ىَّ وَ لا مِنَ البَاقِينَ غَابِر

أيقَنتُ أنّي لا محَا*** لَةَ حَيثُ صَارَ القَومُ صائِر [1]

ثم تواصل بذكر أروع القصائد الحكمية في الجاهلية فاختار معلقة زهير بن أبي سلمى حيث تتناول القصيدة أغراضاً ثلاثة : المقدمة الغزلية و المدح و الحكمة و الآراء. فهما يكن من الأمر من شيئ, فإن الباحث قد اتفق مع الدكتور شوقي ضيف والباحث جواد عوده على وجود الشعر التعليمي بكل أقسامه منذ قديم الزمان وسالف العصروالأوان ولم يتأثر العرب بأي ثقافة أجنبية بناءا على ما تناولاه بالدراسة والتحليل من نماذج مختارة.

4. ديوان " حدائق ذات بهجة ":

يبدو من ظاهر الإسم أن الديوان بأكمله قد خصصه الأديب لمعالجة المواضيع – الإبداعية والعلمية – فهو ثَرِيٌّ بقصائد فى المدائح بمختلف أنواعه منها المديح النبوي, ومدح الشيوخ الأجلاء مع ذكر صفاتهم الخُلْقية والخَلْقية, وذِكر مناسبة عيد المولد النبوي الشريف مع الإشارة إلى فضائله وبركاته. وأما الهجاء فقد أدلى فيه بدلائه, وهجا خصومه وأصحاب جدله, إذ رماهم فى غير موضع بقواف لاذعة وموجعة, وتبعها بمرثياته التى تتجللى فيها موسيقا هادئة تثير الوجدان والشفقة. وأما النصوص العلمية فتتمثل فى المنظومات النحوية والفقهية والعقدية والقراءات السبع وعلم العروض.

لقد ذكر (محمد الحاج ميدغو 2012, 87) " يقع الديوان فى ست وخمسين ومئة 156 صفحة وهو مخطوط بالخط المغربي الأصيل, وقد حوى ستة وعشرين وثمان مئة وألف 1826 بيتا وستا وعشرين 26 قصيدة. تختلف كل قصيدة من حيث الطول. ويمكن القول أن الأديب قد جمع بين نصين وخطابين مختلفين وغايتين متباينتين. الخطاب الأول: الشعر, وهو فن جميل يعتمد على الموسيقا والخيال, والألفاظ المتخيرة الموحية ذات الدلالات المفتوحة, وغايته المتعة والتسلية. والخطاب الثانى: التعليم, وهو ذكر معلومات من علم معين يعتمد على الدليل والبرهان والحجة ويعبر عنه بلغة واضحة مقيدة الدلالة, وغايته إيصال المعلومات إلى الناس وإفادتهم, أو بعبارة أخرى الشعر التعليمي. ذاك يخاطب الوجدان ويستثير المشاعر, وهذا يخاطب العقل للإقناع. هكذا رتب القصائد الواردة فى الديوان إذ أراد أن يريح عقل القارئ ويجهز فكره وانتباهه ليقبل على المطالعة فى القصائد التعليمية منشرح الصدر والفؤاد ويستوعبها بدقة.

5. التعريف بالشيخ أبوبكر غنيمي البرناوي:

[1] المرجع نفسه.

هو الإمام الكاتب الشاعر الخطيب الشيخ أبوبكر غنيمي[1] البرناوي بن مصطفى بن القاضي غَمْبُو الكُوْكَاوي[2] بن غُونِي نَعَمْ بن غوني كَنْغَلْمُو[3]. اشتهر بلقب غُنِيمي في أراضي برنو وهو نسبة إلى جده القاضي الشريف غنيمي الغَاجِبَوْوِي[4], وبالحَامِي حِمَىْ الدين لأنه يدافع عن الدين بقلمه المتدفق ولسانه الفصيح. وأما أمير المجاهدين فهو لقب خلعه عليه شيخه ومربيه الشيخ أحمد أبو الفتح البرناوي, وشاعت كنيته بِبَابَا بين أهله وبني أسرته, وبسيدنا وآ رَمَ[5] بين تلاميذه وأتباعه لشدة علاقتهم به علما وروحا وتكرما[6]. ينتهي نسبه إلى سيف بن ذي يزن من عشيرة بَدَوَيْ[7] الكنورية أبا وأما. ولد العلامة عام 1945م بحي هوساري زَنْغُو[8] فاختار له أبوه اسم أبي بكر تيمنا وحبا بالصحابي الجليل أبوبكر الصديق رضي الله عنه.

نشأ في حجر والده وتلقى منه ما علمه الله من مبادئ الثقافة الإسلامية والعربية وغرس فيه روح المثابرة والتحمل, وسلك به مسلك الجد والثبات, وعوده على حب العلم وجمعه وتحصيله, فرسخ ذلك في ذهنه وعقله إلى أن أصبح التحصيل له سمة بارزة في معارج حياته, وصار الصبر والتحمل شيمة واضحة من شيمه, والشجاعة صفة من صفاته إذ لا يخاف لومة لائم. وقد تربى على يد علماء برنو الأجلاء الذين ذاعت صيتهم وارتفعت مكانتهم في مختلف فنون العلم والمعرفة فشرب من مشربهم حتى ارتوى فكان لهم باع كبير في تثقيفه وتربيته حتى أصبح عالما وفقيها يشار إليه بالبنان ويضرب به المثل في التأليف وهو مالكي مذهبا, وأشعري عقيدة وتجاني طريقة. وأما الإمامة فقد تولاها خلفا لشيخه الشيخ غوني مختار هوساري والشيخ محمد كَدِيَجَمِي وأغلب الظن أنه حينما بنى جامعه بِحَيّ بَلَوْرِي بمدينة ميدغري وانتقل إليها عام 1978م عيَّن نفسه إماما ولكن لشدة تواضعه وتكرمه لمشايخه تنازل عن المنصب بعد حين, فلما انتقلا إلى رفيق الأعلاء أسند إليه المنصب تلقائيا في العام 1989م ولا يزال على المنصب إلى يومنا هذا[9] وأما الخطب فيلقيها شفاها ولا يدونها. وأما التأليف فقد بدأه عام 1407هـ 1978م. وله مؤلفات عديدة في مختلف فنون المعرفة وأبرزها ديوان "

[1] كلمة مشتقة من لفظ " غوني " الكنورية ويلقب به من حفظ القرآن الكريم عن ظهر قلب وتفنن في علوم الشريعة. قيل أنه قد اتخذت الكلمة من حديث الرسول صلى الله عليه وسلم: (ليس منا إلا من يتغنى من القرآن...) أو كما قال- فكلمة غوني تحريف لكلمة – يتغنى – وكان أول من لقب بهذا اللقب كما جاء من المصادر المحلية هو غوني موسى إنْغَلبِيَاما من مشاهير علماء بِرْنِي إنْغَزَرْغَمُو.

نسبة إلى مدينة (كُوكَاوا) وهي عاصمة كانم- برنو في القرن التاسع عشر [2]الميلادي تقع في شمال برنو الحالية.

[3] لقب جده الخامس.

[4] مدينة تقع في شرق ولاية برنو الحالية .

[5] تحريف لعبارة (أهل الرحمة) تنطق لفظ أهل بحذف الهاء والراء -آ- وتنطق لفظ رحمة بإخفاء الحاء والتاء المربوطة- رَمَ وهم جماعة من المثقفين بالثقافة الإسلامية والعربية.

مقابلة أجراها الباحث مع غوني ماهر بحي بَلَوْري يوم الأحد 15- 7- 2010 [6]م, الساعة 11:30 إلى 12:30.

[7] المقابلة نفسها.

إحدى المراكز التجارية الكبرى تقع في حي شيخوري الجنوبية بمدينة [8]ميدغري.

[9] غوني ماهر- المقابلة السابقة.

حدائق ذات بهجة " وهو ديوان شعري جمع فيه الشاعر إنتاجاته العلمية والأدبية.

6. نشأة الشعر التعليمي في منطقة برنو:

أما الشعر التعليمي فى برنو يكاد يطغى على سائر الفنون الشعرية, لأن الدافع الأساسي فى قرض الشعرعندهم هو — الدين وتعليمه – مما جعلهما فى المنزلة الأولى من إنتاجاتهم الشعرية, فقد قرضوا أشعارا فى شتى الميادين الدينية والعلمية كالتوحيد, والفقه, والنحو, والصرف, والعروض, وعلوم القرآن, والحديث وغير ذلك, وبالإضافة أنه حتى تلك الإبداعات الشعرية التى تناولوا فيها الأغراض الأدبية الموروثة لاتخرج عن الحدود الدينية, ولا تعارض المبادئ الإسلامية, لأنها هي ذاتها لايمكنها الخروج إلى حيز الوجود لولا الدافع الديني . فاستمر العلماء والفقهاء ومشايخ الطرق يتسابقون فى هذا الميدان وينتجون القصائد بهدف التعلم والتعليم. وكل منهم ينتج حسب تخصصه العلمي وميله الفني. وقلما يخرج ذلك الإنتاج عن دائرة الفقه, أوالحديث, أو التوحيد, أو النحو, أو التصوف والوعظ والإرشاد. وقد سبق القول بأن علماء برنو قد أنتجوا قصائد تعليمية كثيرة فى العصور الماضية فى مختلف مجال العلم والمعرفة, وقد ذهب شيخو غلادنثي إلى " ...أن درجة الإنتاج فى الشعر التعليمي عامة — فى نيجيريا –, قد قلت فى الكم فى القرن التاسع عشر والقرن العشرين" لأسباب لها علاقة وطيدة بالتطور الثقافي والتقدم المدني التى شهدتها المنطقة وهذا يدل دلالة واضحة على أن العلماء في القرون الماضية كانوا يهتمون بالمنظومات التعليمية اهتماما بالغا. مع ذلك يرى الباحث أن العلماء يحاولون محاولة قيمة فى هذا الجانب ولا سيما فى برنو في القرن العشرين أيضا, إذ لا يزال عددا لا يستهان بها ينتجون المنظومات التعليمية فى مختلف فنون المعرفة.

ومن أقدم علماء هذه المنطقة الذين أنتجوا المنظومات التعليمية كما ذكر بلو(1957) "...العالم العلامة الفقيه الفهامة الشيخ الطاهر بن إبراهيم الفلاتي ، كان نسيج وحده، عالماً بالمنقول والمعقول، صالحاً تقياً بارعاً والحاصل أنه بلغ مبلغ الرجال. نشأ بموضع يقال له "ذات البقر" وأخذ العلم عن الشيخ البكري، ثم رجع لموضعه، وتصدر للتدريس، ثم حمله السلطان إلى حصن برنو، وأسكنه فيها، وابتنى له داراً، وولاه منصب الإمام. له تآليف وأشعار: منها نظمه على "الكبرى وشرحه" — المعروف بكبري منظوم– وهو منظوم يحتوي على أكثر من ألف بيت نظم فيها كتاب (العقيدة الكبرى) لإبن عبد الله محمد يوسف السنوسي من علماء شمال إقريقيا في القرن الخامس عشر الميلادي–، ونظمه على "الحكم"، ونظمه "الدرر اللوامع، ومنار الجامع، في علم التصريف" و" ...منهم الشيخ العلامة الفهامة أبوبكر (الباركومي المعروف (بابن آجرمي) أي ابن بنت الحاج في اللغة الكانورية, أخذ العلم عن الشيخ البكري, له تأليفات تدل على وفور علمه منها: نظم العقيدة المعروفة "بشرب الزلال" ومنظومة – الكوكب الدري في نظم ما جاء في الأخضري –.

ومن العلماء الذين شاركوا في إنتاج الشعر التعليمي في القرن التاسع عشر الميلادي وأوائل قرن العشرين الشيخ العلامة المرحوم الشيخ أحمد أبو الفتح البرناوي صاحب ديوان بعنوان: (عقيدة العوام للبنين والبنات), وهي قصيدة في علم العقيدة والتوحيد حيث قام الشاعر بتعداد الصفات الواجبة في حق الله والصفات المستحيلة في حقه والواجبة في حق الرسل عليهم السلام والمستحيلة في حقهم, وتقع القصيدة في إحدى وعشرين بيتا. ومنهم الشيخ الزاهد العلامة غوني محمد كولو البرناوي من العلماء الأجلاء المعاصرين يشهد له غزارة علمه الدينية واللغوية صاحب منظومات عدة أشهرها منطومته على كتاب الأحضري والعشماوي. ولاينسى الباحث منطومات الشيخ العلامة الشاعر أيوب بن محمد الكرمسامي ودوره في تأليف المنطومات العلمية في مختلف الفنون المعرفية رغم أنه يعتبر من علماء ولاية يوبي, ولكن لا يغفل الباحث كون هذه الولاية جزء لا يتجزأ من منطقة برنو كما أثبت التاريخ ذلك فمن أشهر منظوماته: (فتح الجليل في نظم اصطلاح الخليل) فهي منطومة تعليمية تقع في تسع أبيات ألفها عام 1416هـ. وأما منطومة(غيث العروض في دوائر العروض) التي الفها عام 1417هـ والتي تقع في خمسة عشر بيتا تعتبر نافذة واسعة لمن أراد فهم الدائرة العروضية الخليلية وقد أصبحت مرجعا لطلاب اللغة العربية وثقافتها. وله منطومة في علم الإملاء تحتوي على سبع ومئة أبيات تعتبر موسوعة لهذا الفن الأصيل الذي كاد أن يندرس ويقضي عليه يد الدهر القشيب ألفها عام 1426هـ.

ومن منطوماته أيضا: (الناظمة الشافية في علم القافية) تحوي إثنان وثلاثين أبيات ألفها 1427هـ تسهيلا لفهم علم القافية. وله منطومة أخرى بعنوان: (ذو الوجهين ما يجوز كتابته بالألف والياء تقع في ثلاثة عشر أبيات ألفها عام 1427هـ. ومن أحدث منطوماته: (الفريدة في علم التهجي 2011) وعدد أبياتها تسع ومئة بيتا. وممن ساهم في هذا المجال الشيخ أبوبكر غنيمي البرناوي كنه هذه الدراسة ومرماها.

7. الشعر التعليمي في ديوان "حدائق ذات بهجة " للشيخ غنيمي البرناوي:

أما الشعر التعليمي في ديوان (حدائق ذات بهجة) [1] يتمثل في منظومة (تقريب النحو) و أخرى بعنوان:(منظومة المقدمة العزية) ومنظومة (علم القراءآت).

أما-تقريب النحو- فنظم لعوامل النحو للشيخ الجرجاني المتوفي سنة 471هـ ألفها عام ستة عشر وأربع مئة وألف الهجري, وتقع في ستة وسبعين بيتا من بحر الطويل وقافيتها اللام. استهل العالم منظومته بالبسملة والحمد على المولى عز وجل, و صلى على سيدنا محمد أفضل الصلوات وعلى أصحابه الطيبين الطاهرين وكل ذلك في خمسة أبيات المقدمة كما رمز إلى البحر الذي بنى عليه

[1] أبوبكر غنيمي (الشيخ) ديوان حدائق ذات بهجة- (مخطوطة) بدون تاريخ ورقم.مكتبة الشيخ أبوبكر غنيمي البرناوي بحي بلوري بمدينة ميدغري

قصيدته وهو بحر الطويل الذي يحسن لمثل هذا النوع من الشعر, كل هذا يليق بالموقف ومغزى المنظومة وكنهها, فالعلماء عادة قبل الشروع في التعليم يقدمون الأدعية والصلاة على المصطفي الحبيب كي يبارك الله ما يبثونه من العلوم والمعرفة وكي يحلل الله عقدة من ألسنتهم حتى يفقه الطلاب ما يبثونها من العلوم والمعارف فأردف الشاعر قائلا:

بدأت ببسم الله أنشد العواملا ** وأنحو له بالشكر إذ كان فاعلا

وأحمده بالفعل والقلب منكسر**وأنصب له بالجسم أرجوفضائلا

وأرفع قدري باعتقادي لملة ** قواعدها كالشمس والطود منجلا

أصلي صلاة طالت النجم عرضها ** طويل كموج البحر ضخما مسلسلا

محمد المهدى إلى كل رحمة ** أصلي له والأهل والصحب شملا[1]

وفي الحلقة الثانية من القصيدة تناول الشاعر فضل علم النحو وأهميته ومكانته بين العلوم فهو خلاصة العلوم مجملا, مع الإشارة إلى أن معرفة قواعده وضوابطه يسهل فهمه واستيعابه بالدقة. ومن خلال سيره في بيان أهمية هذا العلم وفضله إشارة إلى أن الشاعر خلال مطالعته وبحثه عثر على كتاب منثور لعارف يدعى أبوبكر الجرجاني رحمه الله فاستعمل عقله النبيل وذكاءه الفائق ونظم هذا الكتاب المنثور في أبيات شعرية بلا تعب ومشقة مما يشير إلى موهبته في قرض الشعر, وذلك تسهيلا لطلاب العلم في فهم هذا العلم العظيم. أما مستهل الكتاب, فقد افتتحها صاحبها بذكر مئة عوامل للنحو مؤكدا بأنها النحو بعينه فهو دعائمه وأسسه, فستون منها عوامل, وثلاثون معمولا, وعشر معمولا به. وفي محاولته في إثبات بأن النحو هو سر المعارف كلها استدل بأن الأديب لا يعتبر أديبا إذا لم يفقه علم النحو, كما لا يجوز التفسير بدون النحو, كل ذلك إشارة دقيقة إلى أهمية علم النحو وفضله.

وأما الخصائص الفنية في هذه الأبيات, فإنها تزخر بعديد من الصور البلاغية والفنية فازدادها رونقا وجمالا, وعذوبة, وديباجا, وسهولة للحفظ والتحقيق, بالرغم أنه نظم تعليمي فإنه يمتاز بالجمال الفني. ففي قوله: (...طويل كموج البحر ضخما مسلسلا) تشبيه مجمل فقد شبه الشاعر صلاته على النبي صلى الله عليه وسلم بالطول طولا يفوق طول النجم في أفق السماء ثم شبه عرض هذا الطول بموج البحر, فالتشبيه هو عظمة صلاته على النبي صلى الله عليه وسلم, والمشبه به هو موج البحر, والأداة هو الكاف, وأما وجه الشبه فهو العظمة والضخامة, والغرض من هذا التشبيه هو الإقرار بعظمة الصلاة على النبي صلي الله عليه وسلم. كما شبه نظمه هذا بالشمس من حيث الضياء والنور والظهور, والغرض من هذا التشبيه هو الإقرار بمكانة هذا النظم وسهولة

[1] المرجع نفسه- ص: 38

فهمه وحفظه لكل من اطلع فيه.ثم شرع في كنه النظم ومرماه وهو البيان عن عوامل النحو مفتتحا بالباب الأول المعنون في العوامل ثم باب المعمول ويليهما باب الاعراب. ثم اختتم النظم بأبيات تتسم بالدعاء والصلاة على النبي وأصحابه, والأولياء الكرام على سنة العلماء.

وأما النظم الذي يلي نظم عوامل النحو للجرجاني في ديوان "حدائق ذات بهجة" هو لب نظم علم قراءة الورش المسمى: " بالدرر اللوامع في أصل مقرأ الإمام نافع... وشرحه المعنون: " بنجوم الطوالع" للشيخ عبد المجيد رياش ". فقد ألف الشيخ أبوبكر غنيمي هذا المنظوم بدون عنوان وذلك عام 1417 الهجري يقع في سبع وثلاثين ومئة بيتا من بحر الطويل. وقد أنتجه تلبية لطلب الشيخ أيوب بن محمد الكرمسامي من علماء برنو نيجيريا. استهل الناظم هذا النظم بأبيات يثري بألفاظ ومعان يتسم بالدعاء والصلاة والسلام على سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وعلى أصحابه الطيبين الطاهرين, كما استعاذ الله من شر لسانه وشرور صروف الدهر. كما رمز إلى سنة تأليف المنظومة وهي سنة ألف وأربعمئة وسبعة عشر الهجري. ومن أسباب قرض هذه المنظومة خوف الشاعر من شؤم كتم العلم ضمنا بحديث الرسول صلى الله عليه وسلم:(من كتم علما الجمه الله تعالى بلجام من النار). وقد قرر تواضعه في هذه المقدمة – شأن العلماء المتصوفيين– مشيرا إلى أنه ليس أهلا لقرض هذه المنظومة, ولم يمتلأ جعبته لوضع هذا الشعر, ولا جادت قريحته لهذا الفن, ولكن الشيخ أيوب الكرمسامي وغيره ممن يكنون له بالغ الاحترام, وفائق التقدير رأوه أهلا لقرض مثل هذه المنظومة كي يستفيد بها طلاب العلم. فإذا تعثر في منظومته أو أخطأ, فإنه واثق بأن الله تبارك وتعالى سيعفوا عنه, وينجيه من شؤم الكتمان بالعلم, فإنه إذا كتم العلم سيسهر الليل وقلبه يحترق هما وغما. وفي الحديث: (من اقال نادما اقال الله عثرته يوم القيامة). تواصل الشاعر بالقول, بأنه استمد مادة منظومته من كتاب منثور المسمى (بالدرر اللوامع في أصل مقرأ) للإمام نافع المعروف ببري, وهذا يليق بالموقف وهي مقدمة جميلة إذ تشير إشارة واضحة إلى مغزى المنظومة ولبها. فقال الشاعر:

بدأت ببسم الله ربي مطولا *** وأيقنت أن الله صلى لمن علا

فقلت لإبن القرم ايوب سائلي *** طلبتَ بحسن الظن عندي مشائلا

اقلني اقال الله عثرا لكلنا *** وإلا أناجي الليل رغما مطولا

لأن الذي أبديه لب اللوامع *** وشرح له كالنجم تغنيك كافلا[1]

إنتقل الشاعر إلى باب التعوذ والبسملة, مبينا فضلها ومكانتها في القراءة لقوله تعالى:(وإذا قرأت القرآن فاستعذ بالله) ولحديث الرسول صلى الله عليه وسلم: (كل أمر ذي بال...). ففي هذا الصدد, أحسن هندسة

[1] المرجع السابق. ص: 46

المنظومة, إذ يعرف كيف يتوظف الكلمات, والألفاظ, والعبارات في إنتاجاته. فقد بنى هذا الباب على عبارات ثرية بالعلم, غنية بسعة الفكر, وفلسفة البيان, وتوضيح المعاني مع تيسير الحفظ والتحقيق لهذا العلم.

ثم تواصل بباب المدود مبينا أحرف المد – الواو والياء والألف –, وأحواله الثلاثة وهي الطول والوسط والقصر. كما تناول باب اللين والبدل وبابا عن الوقف وبياناته, كما تحدث عن الهمزتين وأحواله الثلاثة وذلك من البيت الثاني والثلاثين إلى الثامن والأربعين من المنظومة. ثم تغنى بباب الهمز المفرد مبينا كل ما يتعلق به من الشروط والأحوال. وانتقل إلى الحديث عن شروط النقل عند الورش وهو أربع فذكرها وتغنى بباب الامالة بين شروطه بالتفصيل واختتم المنظومة بعبارات تتسم بالدعاء والصلاة والسلام على سيد البشر محمد صلى الله عليه وسلم وآله واصحابه الطيبين الطاهرين مع الاشارة إلى سنة قرض المنظومة وعددها.

أما المنظومة الثالثة في هذا الديوان هي منظومة كتاب المقدمة العزية للشيخ المبجل أبو الحسن علي بن محمد بن محمد بن خلف المنوفي المصري الشاذلي المالكي الزاهد الصوفي رحمه الله. تقع هذه المنظومة في تسعين وأربع مئة 490 بيتا من بحر الطويل. استهل بمقدمة طويلة بلغت إثنان وثلاثين 32 بيتا منها, حوت عديدا من القيم الفكرية, والعلمية والفنية فزادتها رونقا وجمالا وسهولة في استيعاب مضمونها. فلكي يجذب أنظار طلاب العلم ويهيأ عقولهم لتفقه الشريعة الإسلامية, افتتح بالبسملة والصلاة والسلام على المختار صلى الله عليه وسلم وعلى آله الذين خدموا الدين الإسلامي حتى وصل إلينا مكتمل الدعائم, راسخ البنيان, فيجدر بنا الثناء على الله تبارك وتعالى على هذه النعمة العظيمة.

بعد هذا الافتتاح الذي يمتاز بالدعاء والثناء على المولى عز وجل, تخلص العالم بكل سهولة وبساطة إلى بيان فضل علم الفقه ومكانته من بين العلوم الإسلامية, إذ هو أساس الدين. كما دعى الله تبارك وتعالى أن يجزي أعلام المذاهب كلهم جزاءا حسنا. ومن هذا المنطلق, تطرق إلى الحديث عن موضوع أهمية اتباع المذاهب, وقد جاء بذلك متحديا أمر خصومه الذين أنكروا وجوب اتباع المذاهب –كما زعم– , فأراد أن يحاورهم ويجادلهم على وجهة نظره, مبينا بأن السلف الصالح كلهم تمذهبوا وما أنكروا اتباع المذاهب, كأصحاب الصحاح الست وغيرهم, فمن أنكره في القرن الثالث عشرة الهجري فهو شاذ وجاهل لا وجهة له ولا معرفة. وكل من يطالع مؤلفات الشيخ غنيمي يفهم بأنه يرمي خصومه الإزاليين بالهجاء كلما سنحت له الفرصة. ألا ترى أنه أراد خوض معركة معهم فأعلن حربه مع أسلحته, فهجاهم ووصفهم بالجهل والشذوذ.

ومن البيت الخامس والعشرين إلى الإثنين والثلاثين هجاء واضح نحو الخصوم الذين وصفهم بقلة العلوم والمعرفة والبلادة, فإنهم لا يطلبون العلوم عند أهلها وإنما يعتمدون على ما تمت ترجمتها من الكتب إلى اللغات المحلية, وما سجلت في الأشرطة فهم لا يحضرون الدروس

ولا التعليم[1] ثم أشار إلى أهمية طلب العلوم. فأقر بالمذاهب الأربعة مع الاشارة إلى أنه مالكي مذهبا ومشربا فهو من اتباع إمام دار الهجرة, وفي منهجه ألف منظومته هذه, فالنظم زينة للمنثور وطريقة لتسهيل الحفظ والفهم. كما تغنى بأهمية علم الفقه, فكل من أراد التحقيق في الشريعة الإسلامية فلابد أن يتفقه في الدين, إذ كل من يبتغي التحقيق بدون تفقه فهو كمن يبتغي في الجو حوتا مبللا, والتفقه هو الطريق الوحيد للصفاء. وبكل اختصار هذا ما تغنى به العالم فيما يلي:

بدأت ببسم الله ذي الطول سللا *** صلاة على المختار من كان فاضلا

وبعد فإن الفقه أعلى علومنا *** لأن أساس الدين بالفقه أصلا

فاسلافنا الصلحاء كل تمذهبوا *** وما شذ فرد لو بحثت لتعللا

فإنكارها في قرن ثالث عشرة *** بدا في شذوذ الناس كانوا مفضلا

ومن يبتغي التحقيق دون تفقه ***كمن يبتغي في الجو حوتا مبللا[2]

بعد هذه المقدمة الطويلة, دخل الشاعر في لب الموضوع وكنهه, فاستهل بباب التوحيد مبينا منهجه في الفقه وهو المنهج الأشعري مع تعداد الصفات الحسية الواجبة لله تبارك وتعالى وهي: الوجود لقوله تعالى: (ويبقى وجه ربك ذي الجلال والاكرام), والقدم, والبقاء, والقيام بالنفس, والمخالفة, والقدير, والعالم لأن الله تبارك وتعالى:(وهو على كل شيئ قدير...), والسميع والبصير...مع الاشارة إلى أن الصفات تنقسم إلى أربعة كما يلي: واحدة نفسية وهي الوجود, وخمسة سلبية, ومعانيها سبع وكذلك المعنوي. ثم شرع العالم بالبيان عن قدرة الله تبارك وتعالى وجبروته وقوته مبينا بأنه إذا أراد شيئا يقول له كن فيكون, فإنشاء العرش كإنشاء ذرة, وتواصل بالحوار عن مسألة استواء الله تبارك وتعالى عن العرش وجلوسه, وكأنه يتحدى خصومه في ذلك بطريقة غير مباشرة منكرا ذلك الزعم مبينا بأن الله تبارك وتعالى قديم وعرشه كان محدثا يحمله ملائكة الرحمن: (ويحمل عرش ربك فوقهم ثمانية), وإن قيل إن الله عز وجل جالس فوق العرش فقل إن الملائكة يثقل عليهم حمل من جلس عليه, وضرب عددا من الامثلة تدل على نفي قول خصومه ووصفهم بقلة العقل والتفقه في الدين والخيانة والكذب بأسلوب الاستفهام للتوبيخ والانكار. كما وصفهم بالإلحاد, فإن خصومه قد زاغوا فأزاغ الله قلوبهم وزين لهم الشيطان أعمالهم فظنوا أنهم يحسنون صنعا كما قال الله عز وجل(الذين ضل سعيهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا). فتغنى قائلا:

وإن قيل إن الرب في الفوق جالس*** فقل يثقل الأملاك حمل الذي علا

[1] المرجع السابق: ص: 108 و109

[2] المرجع السابق.ص: 107و108

ولو قال ذا الإلحاد معنى قد استوى*** يدل على التمكين قل بل تحملا

أليس لهذا الجيل عقل يعينهم *** على فهم دين الله إذ قلن باطلا

ولكنه من زاغ بالزيغ يبتلى ***كما جاء في التنزيل فاتلو المرتلا[1]

ومن هذا المنطلق, تواصل العالم بالبيان عن باب الطهارة كما جاء في كتاب المقدمة, حيث تغنى بفضلها ومكانتها في الدين, فإذا عرف المسلم صفاته تبارك وتعالى فيجب عليه معرفة الطهارة في الإسلام فبدونها لاتقبل العبادات كما امتنع الدخول في الصلاة قبل الطهارة. وقد قال الله تبارك وتعالى: (وأنزلنا من السماء ماءً طهورا...). قال صاحب المقدمة: "...فالماء الطهور ما كان طاهرا في نفسه, مطهرا لغيره كماء البحر والبئر والمطرة إذا لم يتغير شيئ من أوصافه الثلاثةو وهي اللون والطعم والريح بما ينفك عنه غالبا كاللبن والعسل والبول والعذرة فإن تغير شيئ من أوصافه الثلاثة بما ذكر ونحوه فلا يصح الوضوء منه ول الغسل ولا الاستنجاء. والمتغير بالطاهر طاهر غير طهور يستعمل في العادات ولا يستعمل في العبادات, والمتغير بالنجس نجس لا يستعمل في شيء من العادات ولا في شيء من العبادات, وإذا تغير بشيء من قراره كالتراب والملح والنورة أو بما تولد منه ...فإنه لا يضر ويستعمل في العادات والعبادات..."[2] . هذا بالضبط ما تغني به الشيخ في البيت الأول من باب الطهارة إلى البيت التاسع منها فقال:

ومهما أردت النفل أو أي طاعة *** توضأ قبيل الفعل أو كن مغسلا

فحاول طهور مثل ماء لوابل *** وبئر وبحر فاعرف الفقه تفضلا

وإن حال وصف الماء شيئ ملازم ***كترب وملح طهره ليس زائلا

وإن كان للتبريد والغسل سنة *** طهور مع الأغيار والبعض خال[3]

تواصل الشيخ في البيت العاشر إلى البيت الثالث عشر بالبيان عن الأعيان الطاهرة والنجسة واستهل بالأعيان الطاهرة لشرفها ومكانتها كما قال صاحب المقدمة: "...كل حي فهو طاهر آدميا أو غيره, وكذلك عرقه ولعابه ومخاطه ودمعه وبيضه غير المذر بالذال المعجمة وهو المتغير المنتن, ولبن الآدمي في حال حياته طاهر, ولبن مباح الأكل طاهر كالبقر والغنم والإبلو وكذلك بوله ورجيعه ما لم يتغذ بنجس... وما كره أكل لحمه كالسبع

[1] المرجع نفسه ص: 110إلى 111

[2] أبي الحسن, علي المالكي الشاذلي- المقدمة العزية للجماعة الأزهرية- المكتبة الشعبية بيروت- لبنان. ص: 5-7 بدون تاريخ

[3] غنيمي (الشيخ) المرجع السابق والصفحة نفسها.

فلبنه مكروه وميتة ما لانفس له سائله كالذباب والنمل والدود طاهرة"[1] فقال:

فذو الروح أيا كان يا صاح طاهر ***كذا دمعه والبيض لا ما تحولا

فدود ذباب نملة وشبيهها *** لعدم وجود الدم للطهر أرسلا[2]

ثم انتقل إلى فصل الميتة الآدمي غير الأنبياء مبينا حكمه كما وضعه صاحب المقدمة العزية, وأردفه بفصل وجوب إزالة النجاسة عن ثوب المصلي وبدنه ومكانه في البيت الثاني والثمانين إلى الثالث والثمانين. وفي البيت الرابع والخامس والثمانين تناول الشيخ فصل ما يعفى عن يسير الدم والعفو عن يسير الدم إنما هو بالنسبة إلى جواز الصلاة به...من هنا تواصل بالبيان عن فصل في فرائض الصلاة, فقام بتعدادها وهي سبعة كما يلي: النية, وغسل جميع الوجه, وغسل اليدين, ومسح جميع الرأس, وغسل الرجلين مع الكعبين, والدلك والموالات, وقد ذكر ذلك كلها إبتدءا من بيت السادس والثمانين ونزولا إلى البيت التسعين من المنظومة. ثم اتبع فرائض الوضوع بسننه, وهي ثمانية كما عدها صاحب المقدمة العزية وذلك في البيت الحادي والتسعين إلى الرابع والتسعين منها. ومن هذا المنطلق, تناول الشيخ فضائل الوضوء وهي إحجى عشرة فعددها من أولها إلى آخرها في البيت الخامس والتسعين إلى الثامن والتسعين ثم تبعها بتنبيهات مفصلة في البيت التاسع والتسعين إلى المئة. ومن البيت واحد ومئة إلى ثمانية ومئة تناول فصل نواقض الوضوء وتنبيهاته, كما تناول من البيت تسعة ومئة إلى ستة عشر ومئة من المنظومة فصل الغسل وموجباته, ثم فصل التيمم وفرائضه وتنبيهاته ثم باب الخف, والخيض والصلاة وأوقاته, وفصل الآذان, وفصل فرائض الصلاة وسننها وفضائلها ومكروهاتها ومبطلاتها كل ذلك من البيت السبعة عشرة ومئة إلى سبعة وعشرين ومئتين بيتا من المنظومة.

وتواصل الشيخ يتغنى بفصل سجود السهو, وصلاة الجماعة, وشروط الإمامة وصحة صلاة المأمون, وصلاة الجمعة وحكمها, وصلاة السفر وشروطها, وفصل السنن المؤكدة, وفصل صلاة الجنازة تناول ذلك كلها في البيت الثامن عشر ومئتين إلى البيت الخامس والسبعين ومئتين من المنظومة. وبعد هذه البيانات الكثيفة التي تتحلى بغزارة الفكر والعلم معا, إنتقل صاحب المنظوم إلى البيان عن الباب الثالث في الزكاة مبينا نصاب العين, والحبوب, نصاب الضأن والمعز, والبقر, والإبل, ثم أردفه بباب زكاة الفطر, وباب الصوم, وباب الحج وأحواله, ثم باب الضحية وباب العقيقة, وباب الذبح, وباب النكاح, وباب في البيع, وباب الميراث وموانعه, ثم فصل في اجتماع الذكور والإناث أو الكل, وفصل في الحجب...وفصل في بيت المال إذا وجد...تغنى صاحب

[1] المقدمة العزية المرجع السابق: ص: 7-9

[2] غنيمي (الشيخ) المرجع السابق ص: 112

المنظومة بهذه الفصول والأبواب من البيت الستة وسبعين ومئتين إلى البيت الإحدى وثمانين وأربع مئة منها.

واختتم منظومته بالحمد والثناء على المولى عز وجل الذي ساعده في وضع هذه المنظومة, فهو الجدير بالشكر والثناء على آلاء نعمه, فرمز إلى أن وضعها ومراجعتها و إخراجها إلى حيز الوجود استغرقت إثناء عشر سنة. فما قام به ليس إلا محاولة متواضعة في نظم كتاب المقدمة العزية تسهيلا للحفظ والتحقيق, سيرا إثر أسلافه العلماء الأجلاء الذين خدموا هذا الدين الحنيف. ثم طلب من القراء الدعاء الخالص كي يجزيه خير الجزاء ويجعله من صالح أعماله, ثم صلى على النبي المصطفى صلى الله عليه وسلم وعلى آله وأصحابه الطبين الطاهرين.

8. الخاتمة:

مما سبق محاولة يسيرة في الكشف عما يحويه ديوان " حدائق ذات بهجة " للشيخ أبوبكر غنيمي البرناوي من الشعر التعليمي في مختلف الفنون الإسلامية, واللغوية وما فيها من القيم الفنية, وقد توصل إلى نتائج أهمها:

1- لقد اختلف الباحثون عن الشعر التعليمي اختلافا كثيرة, فمنهم من عده من الشعر ومنهم ذهب إلى أنه ليس من الشعر إلا اسمه. والباحث ذهب مع الفريق الأول الذي عده من الشعر لما فيه من الإيقاع الصوتي الذي يسهل الحفظ والفهم.

2- إن الشيخ أبوبكر غنيمي البرناوي قد تناول في ديوانه هذا ثلاث منظومات تعليمية وهي: منظومة تقريب النحو, ومنظومة قراءة الورش, ومنظومة مقدمة العزية.

3- إن منظوماته بالرغم أنها علمية قد حاول الشاعر إدراج خصائص فنية وأدبية فيها, إذ تثري ببعض الصور البيانية, والمعانية والبديعية.

4- فقد اتضح جليا بأن الشاعر هجّاء يهجو خصومه حتى في الشعر التعليمي, ولا سيما في مستهل المنظومات ومقدماتها, إذ يقذفهم بقوافيه اللاذعة, ويصفهم بصفات قبيحة, ويفتح بين أيديهم ساحة للحوار والجدال, ويحاول بكل ما أوتي به من مقدرة علمية, وفكرية, وفلسفية عرض البراهين والأدلة مؤيدا طريقته التجانية الصوفية, ومبطلا زعم خصومه الإزاليين. وهذه هي بلاغة الافتتان إذ جمع الشيخ بين فنين مختلفين الشعر التعليمي والهجاء.

5- إن الشعر التعليمي من الفنون الذي أدلى فيه الشعراء البرناويين بدلائهم, فألفوا عددا لا يستهان به من المنظومات

التعليمية تيسيرا للحفظ والتحقيق, وسعيا لمد تيار الثقافة الإسلامية والعربية.

9. قائمة المصادر والمراجع:

القرآن الكريم

أبوبكر غنيمي (الشيخ) ديوان حدائق ذات بهجة- (مخطوطة) بدون تاريخ ورقم.مكتبة الشيخ أبوبكر غنيمي البرناوي بحي بلوري بمدينة ميدغري

أبي الحسن, علي المالكي الشاذلي (بدون تاريخ) - المقدمة العزية للجماعة الأزهرية- المكتبة الشعبية بيروت- لبنان.

أحمد أمين: (1976م)- ضحى الإسلام. دار المعارف-بيروت لبنان, المجلد 1.

حسين, طه (الدكتور) (1969م)- من حديث الشعر والنثر, دار المعارف القاهرة.

.....(1980م)- المجموعة الكاملة, ج- الثاني, الطبعة الثانية- دار الكتاب اللبناني.

..... (بدون تاريخ)- حديث الأربعاء, دار المعارف القاهرة مصر, المجلد 2.

شوقي ضيف (الدكتور) (1954م)- التطور والتجديد في الشعر الأموي. دار المعارف – القاهرة مصر.

مصطفى هدارة (الدكتور)– (بدون تاريخ)- إتجاهات الشعر العربي في القرن الثاني الهجري, مكتبة الأنجلو المصرية.

يوهان فك– (1980م), العربية. ترجمة **الدكتور رمضان** عبد التواب, مكتبة الخانجي بمصر.

مواقع الشبكة:

www.diwanalarab.com/spip.php?page=article&id_articؤle=**23011**=**جواد غلام علي زاده**- نشأة المنظومات التعليمية في الأدب العربي. وقت التصفح- 6:30 مساءا التوقيت التيجيري, يوم الأربعاء17-2-2016م من خلال منبر حر للثقافة والفكر والأدب, (الإثنين 19 ابريل 201م) .

البحوث الجامعية:

محمد الحاج ميدغو- (2012م)- ديوان حدائق ذات بهجة للشيخ أي بكر غنيمي البرناوي (دراسة أدبية تحليلية) بحث قدم لنيل شهادة الدكتوراه في اللغة الرعبية- قسم اللغة العربية بجامعة عثمان بن فودي صكتو- نيجيريا.